دراسة في أعلام بغداد
الأب أنستانس الكرملي أنموذجا

د.لقاء شاكر الشريفي
جامعة بغداد/مركز أحياء التراث العلمي العربي

(خلاصة البحث)

تعد دراسة الشخصيات البغدادية من الموضوعات المهمة ، لان أصحاب هذه الشخصيات عادة ما ينتمون الى النخبة التي تؤدي دورا متميزا في تطوير أي مجتمع في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة ، ومن هذه المنطلقات جاءت دراسة شخصية الأب أنستانس ماري الكرملي بهدف تسليط الضوء على جوانب كثيرة في شخصية الكرملي وبصماته الواضحة بحركة المجتمع في ميادين الثقافة والفكر

أن جهود الكرملي في مجال اللغة والأدب والتاريخ جعلته يعد واحدا من أبرز رواد النهضة المتأخرين في تاريخ العراق الحديث

نبذة عن حياة الكرملي :

ولد أنستانس ماري الكرملي في مدينة بغداد في الخامس من أب عام ١٨٦٦ ، من أب لبناني وأم بغدادية الاصل والولادة ، وكان اسمه (ماري) فضلا عن أسماء أخرى مثل (بولص ، بطرس ، عبد الاحد) (١)، اما اسم أنستانس فقد أشتهر وعرف به وذلك بأثر تعينه قسيسا في دير الكرملين في بلجيكا (٢)

ألقابه :

يرجع البعض لقب الكرملي نسبة الى طائفة سكنت جبل الكرمل في لبنان(٣) ، كما عرف بلقب (الحافي) نسبة الى عادات الرهبان الكرمليين واليسوعيين في عيش حياة البساطة والتقشف (٤)، ومن ضمن الالقاب الاخرى (البغدادي) الذي كان يعرف به في الاوساط البغدادية ، التي ولد وترعرع ومات فيها(٥)

كان والد الكرملي من مواليد لبنان عام ١٨٢٣ ينتمي الى بيت رفيع من البيوت اللبنانية المعروفة ب(بيت عواد) (٦)، ويوثق الكرملي جانبا من حياته ، أذ يذكر بهذا الصدد : " أبوه ميكائيل ماريني وأسمه الحقيقي جبرائيل يوسف عواد الماريني من قرى لبنان وبيت عواد ، أشهر من أن يذكر أبدل أسمه جبرائيل بميكائيل لامور سياسية في ذلك العهد فرحل من لبنان مرافقا أحد المنتمين الى نابليون بونابرت في رحلته من سوريا الى الاستانه ثم الى العراق " (٧)

عمل والد أنستانس الكرملي بصفة مترجم لاحد الامراء من أسرة ال(بونابرت

أذ رافقه في رحلة استمرت سنتين زار فيها مصر و سوريا و الاناضول و بلاد فارس (٨)، وأخيرا العراق حيث تعرف على فتاة بغدادية تدعى مريم فتزوجهافي عام ١٨٥٠واستقر به المقام في العراق منذ ذلك الحين حيث رزق منها خمسة ذكور وأربع أناث(٩) أشتهر منهم وذاع صيته على وجه الخصوص منهم الطبيب نابليون والاب انستانس الكرملي (١٠)

يرجع نسب والدة الكرملي التي عرفها البعض بأسم (لولو) بنت أوغسطين الياس جبران هي من العوائل الكلدانية الكاثوليكية البغدادية وأخرون عرفوها بأسم مريم بنت أوغسطين جبران (١١) وعرفها الكرملي ب " في بغداد عرف والدي مريم مرغريتا أو لولو من بيت اوغسطين جبران الكلداني البغدادي وأمها مرتا أنية رحماني الكلداني فتزوجها فولدت له خمسة بنين وأربعبنات " (١٢)

أما أسرة أنستانس فهي تنحدر من أسرة عربية ترجع بأصلها الى قبيلة بني مراد العربية التي أشتهرت أخبارها في الجاهلية (١٣) ، وقد ذكر ذلك الكرملي في أكثرمن موضوع بدليل رسالة بعث بها الى وزير خارجية اليمن أذ ذكر فيها مانصه : "

وأما سبب حبي لليمن واليمانيين فهو أن أصلي من مراد وقد لجأ جدنا الاكبرفي صدر الاسلام الى جبل لبنان فأقام فيه فأنسل وتناسل أولاده ثم جاء والدي الى بغداد عام ١٨٤٥ فأقام فيها وتزوج " (١٤)

وأشار الكرملي الى حبه لأهل اليمن في موارد كثيرة أذ يذكر مانصه " أني أحب أهل اليمن من العرب خاصة ، لأن أصلي القديم من تلك الديار ولان الانسان بطبيعته يميل الى أرومته " (١٥)

ووردت أشارات كثيرة عن نسب أسرة الاب انستانس الكرملي الى قبيلة بني مراد العربية التي نزحت الى جنوب الجزيرة العربية من اليمن واستوطنت في لبنان وأشهر بيوت هذه القبيلة بيت ال عواد(١٦)

كان الكرملي كثيرا ما يفاخر بنسبه على الدوام عندما كان يردد مانصه : " أنني أغرمت بهذا اللسان الكريم منذ نعومة أظافري وكثيرا ما تمنيت أن أخدم هذه اللغة وأصحابها خدمة تنفعهم النفع الجم وتوليت مهمتي في هذا السبيل فأكتفيت من تلك الخدمة بحسن النية والاخلاص لاغير هو ما يفرضه على حب وطني وقومي ولساني فقمت بالواجب المحتم علي بقدر طاقتي"(١٧)

مماسبق يتضح لنا أعتزاز الكرملي بأنتمائه العربي، أذ كان يردد دائما : " ولدت عربيا وأحيا عربياوأموت عربيا " (١٨)

أثارت عبارته هذه حفيظة السلطات العثمانية التي كانت قد حذرته من تمجيد اللغة العربية وأدابها ، مما عرضه ذلك للأعتقال والنفي حيث قام العثمانيون بنفيه في الحرب العالمية الاولى الى مدينة قيصرى في الاناضول، لانهم رأوا فيه خطرا يهدد بأحياء العروبة وحب اللغة العربية فمكث في هذه المدينة مدة سنة وعشرة أشهر بين العامين (١٩١٤- ١٩١٦)(١٩)، كما سعت السلطات العثمانية لمحاولات تشويه صورة الكرملي أذ أشيعت بعض الاخبار عن كتابته مقالا ينتقد فيه العرب ولغتهم (٢٠)

الامر الذي استهجنه الكرملي ورد عليه بمقالة ذات مغزى فكري عميق جاء فيه:".... كيف يسعني أن اهجو العرب ، وأنا بهم أفتخر، أو أندد بهم وأنا من موائدهم التقط ومن روح علومهم أستثمر واليهم أنتسب ، فليس من ينكر العرب فضلهم الا لفظته الانسانية وعدمته البشرية " (٢١)

نشأته ودراسته :

أتفقت جميع المصادر التي ترجمت للأب أنستانس الكرملي على مكان ولادته في بغداد الخامس من أب في عام ١٨٦٦ ، الا أن المعلومات بخصوص طفولته قليلة ، كما لم يتناولها الكرملي في مصادره وتراجمه (٢٢)، بدأ الكرملي بتلقي علومه الاولية في مدرسة الاباء الكرمليين ببغداد ، ثم التحق بمدرسة الانفاق الكاثوليكي فتخرج منها في عام ١٨٨٢، وكان طالبا مميزا ظهرت علية علامات النبوغ بشكل مبكر ، مما جعله ذلك موضع أحترام معلميه (٢٣)، عمل الكرملي بعد تخرجه مدرسا للغة العربية في مدرسة الراهبات ببغداد، وكان عمره أنذاك ستة عشر عاما ، لكنه لم يستمر بالتدريس حيث غادر بغداد الى بيروت وكان في العشرين من عمره ، وهناك سنحت له فرصة دراسة اللغة العربية وأدابها في المدرسة اليسوعية وتعلم اللغة اللاتينية واليونانية ، كما أتم دراسة الاداب الفرنسية ، لكنه لم يلبث حتى رحل من بيروت الى بلجيكا لينتقل الكرملي الى مرحلة جديدة في حياته الا وهي دراسة علوم الرهبنه في دير الاباء الكرمليين لمدة سنتيين وتخرج منها بتاريخ ٢٢ حزيران في عام ١٨٨٩ ، وسمي بعدها بالراهب أنستنانس ماري الالياوي (٢٤)، درس الكرملي بمدينة نيس في فرنسا في دير للأباء الكرمليين مبادئ علم الفلسفة ، وانجز في ذلك الكثيرمن الدراسات الفقهية ، واللأهوتية وعلم تفسير الكتاب المقدس ،ثم انتقل بعد ذلك الى مدينة (مونبلية) بفرنسا وقضى فيها ست سنوات في دراسة العلوم الفلسفية ، واللاهوتية وأصول علم اللغة ، وكان من اساتذته السيد كابر بيركرونال وهو من أكابر رجال فرنسا وعلمائها ، اذ قام الاخيربتعيين الاب انستانس ماري الكرملي كاهنا في مدينة مونبلية بفرنسا وذلك في عام ١٨٩٤ ليكون بذلك الكرملي اول عراقي ينظم الى الرهبنة الكرملية (٢٥).

في السنة نفسها غادر الكرملي فرنسا متوجها الى اسبانيا لزيارة الاندلس وتفقد معالمها العربية ثم ما لبث أن عاد الى بغداد في اواخر عام ١٨٩٤ حيث عهد اليه بأدارة مدرسة الاباء الكرمليين في بغداد لمدة اربع سنوات فضلا عن تدريسه لمادتي اللغة العربية والفرنسية (٢٦)

أدت زيادة الواجبات والمهمات ، الدينية ، والعلمية ،والمدرسية الملقاة على عاتق الاب انستانس الكرملي ، الى اعتذاره عن أدارة مدرسة الاباء الكرمليين ، حيث أنصرف الى البحث والدراسة والتأليف (٢٧)، درس الكرملي عدة لغات وأتقن بعضها مثل الفرنسية واللاتينيه واليونانية الى جانب اللغة العربية التي أظهر نبوغا فيها ، فضلا عن اجادته لبعض مفردات اللغات الشرقية والغربية كالسريالية والعبرية والفارسية والتركية والانكليزية والاسبانية والايطالية والارمينية ولغة الصابئة (٢٨)، ويبدو أن ثقافة الكرملي الواسعة قد تكونت من ثلاثة مصادر هي العراق مسقط رأسه ولبنان موطن ابيه واجداده وأوربا حيث تلقى علومه اللاهوتية في مدارسها.

صفاته وسجاياه:

تمتع الكرملي بمجموعة من الصفات والسجايا والاخلاق فضلا عن علمه وسعة أطلاعه الا أن هذه الصفات لم نجدها مجموعة في كتاب ، الا ما كتبه عنه بعض محبيه ومعجبيه من الادباء والمؤرخين فكتب في وصفه نجدة فتحي صفوة ما نصه : " رجل مهذب الطلعة ، اسمر اللون ذو لحية وقورة طغى بياضها على سوادها أصلع الرأس واسع الجبهة ضخم الهامة واليدين ، له عينان هادئتان فيها بريق ووجهه واضح القسمات وكان على الرغم من مركزه وعمره في حركة دائمة ونشاط عجيب " (٢٩) ، كما وصفه كوركيس عواد ما نصه : " كان الاب الكرملي طيب القلب لطيف المعشر متواضعا عاطفيا ساذجا في حياته يضحك للنكته من أعماق قلبه ويعجب بالفكرة الجيدة ويصغي لكل متحدث صغيرا أو كبيرا بنفس الاهتمام ، لم يكن للمظاهر الخلابة مكانا ةعنده ، فلم يكن يحفل بكثير من الامور التي يوليها العامة شطرا كبيرا من أهتمامهم ، فلقد كان راهبا كاملا جمع بين فضيلتين التقوى والعلم " (٣٠)

ووصفه جورج جبوري بكل دقة فكتب عنه ما نصه : " أنه كان ينهض من فراشه في الساعة الرابعة فجرا كل يوم ويدخل الكنيسة للصلاة وتقديم الذبيحة الالهية ، ثم يدخل صومعته ليقرأ الصحف المحلية والاجنبية حتى الساعة السابعة صباحا ومن ثم يتناول طعام الفطور وبعد أستراحة وجيزة يبدأ عمله

المتواصل حتى سماعه صوت جرس الكنيسة مؤذنا وقت الظهر فيترك عمله ليجلس أمام الرهبان على مائدة الطعام ليتناول معهم طعام الغداء فيبقى عليها ساعة من الزمان يجول بين أوانيها ويصول كالأسد الجائع ناسفا كل ما عليها حتى أنه في أكثر الاحيان كانت تخصص له دجاجتان واحدة يأكلها ظهرا والاخرى للعشاء ، ويعقبها كمية لابأس بها من الفواكه ثم ينتهي مع المنتهين ليجتمع بهم في قاعة الاستراحة مدة ساعة يكون لحديثه ونوادره فيها حصة الاسد ، وهكذا يعود بعدها للعمل حتى الساعة السابعة مساء وكثيرا ما أعتاد أن يجعل له وقت المساء أستراحة للمسير وكان يتناول في الساعة السابعه مع الرهبان طعام العشاء ثم يواصل بعدها عمله حتى التاسعة أو العاشرة ثم ينام وكان معدل عمله في اليوم ستة عشر ساعة " (٣١)

وتجدر الاشارة الى أن الاب أنستانس الكرملي كان زاهدا مترفعا عن كل وظائف الدولة ومناصبها لانه كان يعدها عرضا زائلا ، وهو أمر له العديد من المعاني الفكرية فالمفكر عليه أن يكون دوما زاهدا كونه من صفوة المجتمع خصوصا أذا كان المفكر من طينه الكرملي ، الذي كان يتسم بأخلاق العلماء في البحث والتقصي عن الحقائق العلمية والادبية ، كما كان الكرملي يحب العلم وجلساته ، أذ لم يكن يستكبر من سؤال احد العلماء ومشاورتهم في مسألة معينه ، كما كان في نفس الوقت يأخذ بيد الناشئة من المتأدبين والكتاب ويشجعهم ويعطيهم الكثير من وقته وعطفه وعلمه فكان وديع النفس حلو المعشر (٣٢)

خصص الكرملي جانبا كبيرا من حياته للمطالعة والتأليف وتصحيح الاخطاء اللغوية أذ كان لايطيق رؤية خطأ في مقالة أو كتاب ، كما كان دؤوبا على المطالعة والتأليف وتصحيح الاخطاء اللغوية ، أذ كان لايخلو كتاب أو جريدة يومية من تعليقاته وتصحيحاته اللغوية والاملائية ، وكانت عادته في المطالعة كلما قرأ عبارة بليغة نالت أعجابه أو لفظا فصيحا أستصوبه وضع تحته خط أحمر ، وأذا وجد خطأ لغوي أو نحوي أو عبارة ليست من العربية وضع تحتها خط أزرق (٣٣)

أثار أستعمال الكرملي للون الازرق في الاشارة الى الخطأ أستغراب بعض أصدقائه ، الامر الذي برره لهم بقوله : " أن العرب تستحسن اللون الاحمر ولاتقرنه بالقبح ولا بالسوء ، فتراهم يعشقون حمرة الورد ويتغزلون بحمرة الخد ويلبسون الملابس الحمراء في الافراح والاعياد ولذلك فالأجدر أن يتخذ اللون الاحمر علامة للأعجاب والاستحسان ، أما الازرق فهو اللون الذميم لدى العرب فهم يقولون البلاء الازرق ، ولذلك فألانسب أن يشار الى الاخطاء به " (٣٤)

يتضح مماتقدم ان الكرملي قد تعامل مع اللغة العربية بكل حرفية ، أذ لم يكن يحتمل أي خلل أو خطأ في اللغة العربية ، حتى لو كان هذا الخلل في أوراق رسمية ، وبهذا الصدد يذكر المؤرخ نجدت فتحي صفوة مانصه : " أن الكرملي وصله في أحد الايام صك على أحد المصارف وفيه بعبارة " أدفعوا لأمر فلان أو حامله مبلغ ثلاثون دينارا فما كان منه الا أن أخرج قلمه من جيب ردائه بغير شعور منه ووضع تحت العدد المرفوع خطا ازرق ولما أخذ الصك الى البنك تردد الموظف في صرف صك تغطيه الخطوط الزرقاء وسأله عن المقصود بها فأجابه بما يقنعه " (٣٥)

الواضح أن الكرملي كان شديد التعصب للغة العربية حتى بلغ به القول : " أن لسان العرب فوق كل لسان ولاتدانيها لسان أخر من السنة العالم جمالا ولاتركيبا ولا اصولا ... " (٣٦) ولقد أشار لمسألة اهتمام الكرملي باللغة العربية الاستاذ مصطفى جواد أذ ذكر مانصه : " كان الكرملي محبا للحق صريحا به ولو أدت صراحته الى ضرر نفسه أو أغضاب اصدقائه وكانت صراحته مشوبة احيانا بالحدة والشدة ثقة منه بصدق قوله " (٣٧)

كما وصف مير بصري بعض الجوانب في شخصية الكرملي أذ ذكر مانصه : " كان صريحا في القول والفعل لايرائي ولايداهن ، قد قرن بالصراحة سذاجة الزاهد الذي لم يتمرس بكفاح الحياة ، يأنس الى العمل المرهق المتواصل ويحرص على التدقيق والبحث لايام وشهور في التنقيب عن كلمة خفي أصلها ، كما عرف صلبا شديدا لايخشى في ما يعتقد الصواب لومة لائم ، كان يقسو

أحيانا على خصومه ، كما كان يحاسب نفسه حسابا عسيرا قبل أن يحاسب سواه " (٣٨)

وتجدر الاشارة الى أنه بالرغم مما تمتع به الكرملي من مزايا حسنه ، لم يسلم في بعض كتاباته من الاندفاع وراء العاطفة التي كانت تبعده عن المنهجية أحيانا لدرجة الخشونه في النقاش وخروجه عن حدودالمناظرة العلمية ، الامر الذي أنتقد عليه من قبل الكثير من الاصدقاء والكتاب ، الا أن هذه الصفة لازمته طوال حياته ولم يستطع التخلص منها رغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت اليه .

وصفة جلال الدين الحنفي قائلا : " أن الحياة الداخلية للكرملي ذات طابع متميز ولون خاص على الباحث الانتباه الى مظاهرها والتأمل في دواعيها والتفسير الصحيح لمدلولاتها فقد كان رحمه الله بخلاف أقرانة من الرهبان ذا جسم قوي لاتحتاج اليه مهامه وهو في قوة جسمة يحاكي مصارعا من المصارعين ، لارجلا انقطع لخدمة اللغة والبحث في التاريخ "(٣٩)

وكتب عنه عبد القادر البراك رحمه الله يصفه قائلا :" حدثني الشاعر المخضرم عبد الرحمن البناء بأن أنستانس الكرملي كان يزاول ضربا من الرياضة البدنية لايقوى على ممارستها غير بهلوان ولهذا أرجعت قوة قابلية الكرملي في ألتهام الاكل بشراهة يضرب بها الامثال "(٤٠)

وكان ألاب أنستانس الكرملي باحثا مجتهدا يرد على كل المسائل ويجيب على الرسائل التي ترد اليه في اللغة العربية من دون تأخير فضلا عن حرصه في التواصل مع طلابة والرد على جميع أستفساراتهم وبأسرع وقت ممكن (٤١)

ثـقـافـتة :

كان الكرملي واسع الثقافة فهو يجيد الكثيرمن اللغات مثل الفرنسية ، وألانكليزية، واليونانية ،واللاتينية ،والاسبانية ومن اللغات الشرقية التركية ،والفارسية ، كما أتقن مجموعة من اللغات السامية كالسريانية والكلدانية والعبرية والمندائية ، كما تعلم الارمنية في منفاه في الاناضول (٤٢)

وبالرغم من أجادة الكرملي للكثير من اللغات ، الا أن اللغة العربية كانت محور أهتمامه وشغله الشاغل فأهتم بدراسة أدابها وقواعدها ، متحديا بذلك الاطار الاجتماعي الذي كان سائدا في ظل الدولة العثمانية

كان الكرملي واحدا من الذين صنعوا الثقافة في مرحلة حاسمة من تاريخ المجتمع العربي عامة والمجتمع العراقي بشكل خاص بين نهاية القرن التاسع العشر وبداية القرن العشرين ، أذ كانت بصماته واضحة أشاد بها العديد من الكتاب واللغويين ، أذ مزج الكرملي بين عمله كرجل كنيسة علماني وبين الحساسية والجمالية الكلاسيكية في جميع دراساته وابحاثه ، فكتب والف في اللغة والادب والتاريخ والاثار والعادات الشعبية (٤٣)، أذ كانت حصيلة جهوده عددا كبيرا من المؤلفات المطبوعة والمخطوطات ومئات من المقالات العلمية في شتى صنوف المعرفة والادب ، وقد بدأ الكرملي بنشر أول مقالاته عام ١٨٨٦ في مجلة الصفاء اللبنانية ، أذ كان حريصا على نشر العلم والمعرفة وقد أشار لهذه الحقيقة كوركيس عواد أذ كتب مانصه : " لقد كان أنستانس دؤوبا على المطالعة والتأليف لايصرفه عن ذلك الا مرض أو سفر ، ولم يكن عمله اليومي في ميدان البحث والتحقيق ليقل عن عشر ساعات في اليوم على مدار السنه " (٤٤)، أشتهر الكرملي بكثرة قراءاته ومطالعته لذلك كان واسع الثقافة وافر المعرفة خدمته بذلك اللغات التي كان يجيدها.

يتضح مما تقدم أن هنالك ثلاثة موارد أساسية أدت دورا في صقل موهبة وثقافة الكرملي وهي العراق مسقط رأسه ولبنان موطن أبيه وأوربا حيث تلقى علومه اللاهوتية في معاهدها (٤٥)

كانت محطة الكرملي الاولى هي بغداد مسقط رأسه حيث تلقى أول مصادر ثقافته يشجعه في ذلك أمتلاكه الموهبة وحب المعرفة ورغبة التزود بالعلم ، أما محطته الثانية فكانت لبنان ، أذ اتيحت له الفرصة في أن يطلع على مظاهر الحركة الادبية والنشاط الثقافي والعلمي فيها ، أما اوربا فكانت محطته الثالثة ففيها تزود بثقافة الفلسفة وعلوم اللاهوتية ودراسة أصول اللغات وتاريخ الحضارات القديمة والحديثة أرتبط ألكرملي بعلاقات وطيدة ببعض العلماء

أمثال علي الالوسي ومحمود شكري الالوسي ، أذ كان يزورهما ويبادلهما الافكار ، ولقد وردت بعض الاشارات عن هذه العلاقة في كتابات محمد بهجت الأثري أذ كتب مانصه : " أنها صورة عن أكباره لأستاذه الالوسي وأجلاله لقدره وأعترافه بفضله الدائم عليه وكان كثير السؤال عنه في كل ما يعن له من شؤون العلم والمعرفة لاسيما التاريخ واللغة والنحو فطالما كان يكتب اليه مستفهما منه ومستعينا به على كشف الغوامض وتوضيح المهمات فيجيبه بما يشفى العلة ويطفى الغلة ناقدا ومحللا وموجها " (٤٦)

اعتمد الكرملي بشكل خاص على تطوير مكتبته الخاصة ، التي ضمت الكثيرمن الكتب وفي الاختصاصات كافة ويصفها كوركيس عواد : " من أعظم خزائن العراق الخاصة وأواسعها نطاقا ، أذ حوت أمهات المصادر العربية القديمة في اللغة والادب والتاريخ والبلدان والتراجم وغيرها من الموضوعات " (٤٧) كما ورد وصف المكتبة على لسان الكرملي نفسه بمقالة نشرها في جريدة العرب ذكر فيها : " أنها عبارة عن خزانتين خزانة الكتب الشرقية وتحتوي أحد عشر الف كتاب وفيها الفان وسبعمائة وثلاثة وخمسون تصنيفا خطيا ومن أوائل ما طبع في روما والاستانه ومصر الى احدث المطبوعات ..... " (٤٨) ، والحقيقة أن مكتبة الكرملي كانت تحتوي على نوادر الكتب مثل مؤلفات الجوهري والخليل بن احمد الفراهيدي والفارابي وياقوت الحموي ، ونظرا لأحتوائها على هذه المصادر النادرة فقد كان يتوافد عليها العلماء من أماكن بعيدة ، أذ كان يجتمع بها علماء الكاظمية والاعظمية والبصرة والموصل وكربلاء والنجف فضلا عن علماء من المانيا وايطاليا وفرنسا (٤٩)

وصف الكرملي في مقاله له خزانة الكتب الغربية أذ ذكر مانصه : " كان فيها أكثر من ثمانية الا ف مجلد بينها كتب قديمة الطبع وبلغات مختلفة وكان فيها مؤلفات خطية عن تاريخ الشرق لاسيما ما كان يتحدث عن العراق وبلأخص بغداد وكان فيها خرائط كثيرة ورسوم مختلفة وصور الواح حسنة النقش والطبع " (٥٠)

والجدير بالذكر أن هذه المكتبة لم تبق على حالها بعد دخول القوات البريطانية بغداد عام ١٩١٧ ، حيث نهبت وأحرقت وضاع الكثير منها.

أسهم الكرملي بشكل أو أخر في وضع لمساته النقدية على كثير من الاصدرات الادبية واللغوية ، فلا يكاد يصدر كتاب ادبي أو لغوي الا وكان له فيه رأي أو تعليق ويظهر ذلك من خلال أفراده بابا في مجلته (لغة العرب) أسماه باب النقد ، أذ كان كثيرا ما يوجه العديد من النقد والملاحظ على المطبوعات والكتب والاصدرات النثرية والشعرية ، وفي السياق نفسه عالج ووضع أسماء عربية لبعض المسميات والمصطلحات العلمية والفنية وهي أسماء كان قد أستخرجها من نصوص قديمة فصيحة (٥١)

أهتم الكرملي بالقصة والحكاية وكانت محور أهتمامه الحكاية الشعبية ، فسجل الكثيرمن الحكايات العامية التي تهتم بالتراث الشعبي البغدادي والتي تمثل جزءا من المعتقدات الشعبية والثقافة الانسانية ، أذ حرص الكرملي على توثيق الاغاني والامثال العامية التي تعبر في جوهرها عن العادات والافكار والاساطير فضلا عن الاهتمام برفع المستوى الثقافي والادبي للغة العربية لم تقتصر كتابات الكرملي على المسائل اللغوية والتاريخ والاثار والعادات الشعبية (الفلكلور) ، بل شملت ايضا مقالاته مجموعة من القطع الادبية والنثرية التي نشرتها العديد من المجلات والصحف ومنها على سبيل المثال : " هو الذي يقتل بشدته الناس ويخرج منهم الانفاس ويدفعهم بأنفاسه المحترقة الى مسايل الانهار فيشرب ما فيها ويقذفها الى أنا الديار" (٥٢)

أشتغل الكرملي ايضا في الصحافة العراقية فكان من روادها أذ أنشأ عددا من الصحف والمجلات كانت أهمها مجلة (لغة العرب) التي صدر العدد الاول منها في تموز عام ١٩١١ ، وكان لها دور مهم في تطوير الوعي الثقافي والسياسي عند العراقيين ، حتى باتت تشكل مصدرا لتاريخ العراق أذ صرف الكرملي معظم وقته في كتابة المقالات التي بلغ عددها أكثر من الف مقالة تجاوز عدد صفحاتها خمسة الاف صفحة موزعة على صحف ومجلات في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر والاستانه وهو في اكثر مقالاته

لايعرف التسويد ولا التبيض ، بل انه يكتبها مرة واحدة ويدفع بها الى المطبعة أو المجلة التي يبغي نشرها فيها وهذا أمر يدل على طول باعه في التأليف وتمكنه في فن الكتابة (٥٣)

أتسمت مقالات الكرملي وكتاباته بما يأتي :

١- كان يضيف في كل مقالة فكرة او مادة جديدة

٢- أمتازت كتاباته بوحدة الموضوع أذ يكون المقال متسلسلا تتعاقب فيه أجزاءه تعاقبا منسجما يبعث على الاعجاب

٣- تكشف مقالاته حالة البلد العلمية والادبية والتاريخية

٤- كانت مقالات الكرملي تتسم بعمقها الموضوعي وبلغتها الفصيحة والسهلة

٥- وأهم سمة ميزت مقالات الكرملي أنها أتخذت شكل التعليق والرد والوصف والتصحيح والزيادة والاختصار والتذيل والنقد والتعريف مما جعله أسما بارزا في عالم الصحافة وأعتمدت كلماته مرجعا لكل الذين أ رخوا للصحافة فهو صاحب المقولة المشهورة : " البلاد التي لاصحافة فيها لاصحة فيها " (٥٤)

مكانته العلمية :

تمتع الكرملي بمنزلة علمية رفيعة بوأته مكان الصدارة بين علماء عصره لخدماته للمجتمع العراقي عامة والبغدادي بشكل خاص بما يفيد الثقافة وينهض باللغة العربية بسبب تدهور الوضع الثقافي والاجتماعي في ظل الدولة العثمانية ، اذكانت اللغة العربية تعد خيارا سياسيا وثقافيا واجتماعيا ، أذ كرس الكرملي جانبا كبيرا من حياته في دراسة اللغة العربية ، مما جعله ذلك أكثر شمولية وموسوعية في مختلف العلوم ، كما اهله ذلك ليكون واحدا من الذين صنعوا لنا ثقافتنا في مرحلة حاسمة (٥٥)

أستطاع الكرملي بشخصيته المنظمة والمرتبة والدقيقة أن يطلع على مختلف العلوم عبر دراساته وأبحاثه وأخلاصه لعلوم اللغة العربية ، كما كان له مجلس ثقافي ذا صدى واسع في بغداد يؤمه المثقفون من كل مكان ، ولم تقف

أسهاماته عند هذا الحد ، أذ ألف خلال حياته الأف الدراسات والكتب والابحاث منها ما طبع ومنها ما لم يطبع ومئات المقالات التي نشرها في الصحف والمجلات العربية والاوربية منذ أول عهده في الكتابة حتى وفاته ، أذ كتب في كافة مجلات اللغة العربية والتاريخ والتراث على مدى أكثر من ستين عاما ، فقد أتصفت كتابات الكرملي بالسعة والشمول والموضوعية أذ واصل البحث في شتى صنوف المعرفة فتعددت مواهبه وتنوعت بين اللغة والادب والتاريخ والملل والنحل والبلدان (٥٦)

والواقع فقد أتاحت معرفة الكرملي الواسعة في العلوم الى تبوأه منازل رفيعة بين علماء عصره ، أذ أنتخب عضوا في مجمع المشرقيات الالماني عام ١٩١١ وأختاره المجمع العلمي العربي في دمشق في عام ١٩٢٠ عضوا شرفيا وظل في هذا المنصب حتى وفاته ، كما أختير عضوا في المجمع العلمي السويسري في جنيف كما منحته الحكومة الفرنسية في العام نفسه وساما علميا تقديرا لخدماته الجليلة في البحوث والدراسات العلمية كما حصل على وسام الخدمة الامبراطورية (٥٧)

كان الكرملي من المؤسسين الاوائل للمجمع العلمي العراقي في عام ١٩٢٦ ، كما أختير عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ تاريخ تأسيسه في ٦ تشرين الاول في عام ١٩٣٢، كما أختير الاول من بين عشرين عالما ولغويا في مصر والبلدان العربية والاوربية وكان من ضمن الاعضاء البارزين ويحضر جلساته التي تعقد في القاهرة ويبحث ويناقش في كثير من الموضوعات اللغوية وظل عضوا بارزا فيه حتى وفاته ، كما أختير الكرملي عام ١٩٤٠ كأحد كبار العلماء في اللغة العربية ، أذ عمل في اللجنة التي تولت مهمة توحيد المصطلحات العربية في العلوم الطبية ، أذ وضع الاب أسماء عربية لبعض المسميات والمصطلحات العلمية والفنية وهي أسماء أستخرجها من نصوص قديمة وفصيحة (٥٨)

وأنتخب الكرملي عضوا في لجنة التأليف والنشر العراقية التي ألفتها وزارة المعارف في بغداد في عام ١٩٤٥ ولبث في تلك العضوية حتى وفاته سجل

الكرملي الكثير من المراسلات والمساجلات الادبية والعلمية مع كبار الادباء والعلماء من العرب والمستشرقين أذ يقول بصدد ذلك : " كان قد جرى بيني وبين الالوسي مكاتبات علمية وتاريخية ونحوية ولغوية مدة ثلاثين عاما " (٥٩)

من جهة أخرى فقد ثمنت جهود الكرملي جريدة العرب فكتبت عنه : " أنه أفنى عمره في خدمة لغة الضاد باحثا منقبا في أصول الالفاظ "

تمتع الكرملي بعلاقات طيبة مع الكثير من الشخصيات الوطنية والعربية ، فقد كانت له علاقة طيبة مع الملك فيصل الاول ومع الملك غازي ، ومع رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون وصالح جبر وغيرهم من كبار المسؤولين في الدولة ، أذكان دائم الحضور في المناسبات الوطنية والعربية والاجتماعية في داخل القطر وخارجه (٦٠)

وتجدر الاشارة الى أن مكانة الاب الكرملي قد أشاد بها الكثير من رجالات العلم والادب فكتب عنه شكيب أرسلان يقول : " أنت يا أخي علمتني حروفا فكيف لا أكون مدينا لك والله لو بحثت عشرين سنه ما كنت أجد هذه الجمهرة من الالفاظ " (٦١)

اما احمد زكي فكتب في وصف فضله على اللغة العربية قائلا : " أنا ايها الصديق أدرى الناس بفضلكم الجم على الادب وجهادكم الكبير في سبيله " (٦٢)

تجلت منزلة الكرملي أيضا في كتابات وأقوال الكثير من الاعلام المعاصرين مثل الدكتور مصطفى جواد ، أذ ذكر ما نصه : " أن الحديث عن الناحية العلمية للأب الكرملي لايعدو أن يكون تعريفا للمعروف ونعتا للمألوف ، ولكن الانسان أنما يخلد ذكره أوينطمس علمه الذي هو ملاك سيرته وقوام ذاته وزاد تاريخه في دراسة اللغة بأساليب رائعة تدل على سعة علم وعمق فهم وثقافة قيمة وكان لايجاري في معرفة الكلمات الفنيو والعلمية ومزالق الكتابة وغلطات اللغويين القدماء والمحدثيين " (٦٣)

تحدث عنه بشر فارس فقال : " أنه علامة وثقة في اللغة العربية ويستحق بأن ينزله الناس منزلة العالم لتبسطه في فقه اللغة "

كما كتب عنه الشيخ محمد رضا الشبيبي قائلا : " نهج الاب أنستانس في دراسته اللغوية طريقة علمية فذة ومن مميزاته التي أنفرد بها البحث المقارن في اللغة وهو كما لايخفى يتطلب سعة في العلم ومزيد من أتقان لعدد من اللغات " (٦٤)

ووصفه المحامي والمؤرخ عباس العزواي بالنابغة اذ ذكر مانصه : " سارع هذا النابغة الفذ لخدمة اللغة والتاريخ معا وسعى سعيه للعمل الجليل فلم يلتفت الى عناء أو تعب ... وكان في كل أيامه فخرا للعراق " (٦٥)في حين وصفه أحمد الشايب بالمدرسة أذ ذكر مانصه : " أن النهضة في المشرق العربي كانت في مصر وسوريا والعراق ، أذ كانت دار العلوم في مصر ، ومدارس الارساليات التبشيرية في الشام والاب أنستانس الكرملي في العراق " (٦٦)

ويشير أبراهيم السامرائي لمكانة الكرملي أ ذ يقول : " ظهر الكرملي علما من أعلام النهضة الحديثة في مطلع القرن العشرين وأحتل مكانته العلمية بما سجل لنفسه من مأثر بتصانيفه الكثيرة ومن حقنا نحن الذين نؤرخ للعربية والثقافة اللغوية العلمية أن نضعه في مكانته من التاريخ ونحدد هذه المكانه ونبرز أبعادها أبرازا يضفي على المرحلة اللغوية أطارها اللغوي العلمي " (٦٧)

وصفت جهود الكرملي في مجال البحث في مذكرات المستشرق(جيب) أذ كتب عنه قائلا : " لو خيرت في أنتخاب عبارة واحدة لوصف أنستانس الكرملي لأخترت شديد المراس " (٦٨)

يتضح مما تقدم أن الكرملي كان من الشخصيات البارزة والتي تركت أثارا واضحة في مجال الادب واللغة العربية التي كرس في دراستها جانبا كبيرا من حياته ، حتى أصبح أحد أبرز علماء عصره ، لذلك كان من الطبيعي أن يهتم بتقييمه عدد كبير من المفكرين والمعجميين اللغويين والمؤرخين البارزين في مناسبات شتى تقويما رفيعا ، كما عده البعض من ضمن الشخصيات البارزة

التيأسهمت في تطور حركة الفكر والثقافة في بغداد بشكل خاص والعراق بشكل عام مع أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

الهوامش :

١- كوركيس عواد : الاب أنستاس الكرملي (حياته ومؤلفاته) ١٨٦٦- ١٩٤٧ ، بغداد ،١٩٦٦ ، ص٧ .
٢- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : أنستاس الكرملي ثقافيا وفكريا في تاريخ العراق (١٨٦٦- ١٩٤٧) بغداد ، ٢٠١٣ ، ص ٨٧
٣- الدكتور علي حداد : فروض الهوى البغدادي ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٥، ص٤١
٤- دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٦ ، ص ٨٦٣
٥- خير الدين الزركلي : الاعلام ، بيروت ، ١٩٨٩، ج١ ، ص٣٦٢
٦- سالم الالوسي : في ذكرى الراهب العلامة بمناسبة مرور ٢٣ عاما على وفاة الكرملي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص٨
٧- كريم عبد الحسين فرج الغرواي ، المصدر السابق ، ص٨٧
٨- المصدر نفسه
٩- عامر رشيد السامرائي : الاب أنستاس ماري الكرملي ، بغداد ، ١٩٨٦، ص٣
١٠- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص٨٨
١١- عبد القادر البراك : من أعلام الشرق ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ص٥٤
١٢- عامر رشيد السامرائي : المصدر السابق ، ص٨٨
١٣- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص٨٨
١٤- عبد القادر البراك : المصدر السابق ، ص٥
١٥- سالم الالوسي : المجمع العلمي في خمسون عاما ١٩٤٧- ١٩٩٧، بغداد ، ١٩٩٧ ، ص٤٠
١٦- المصدر نفسه
١٧- فاهم نعمة الياسري : مجلة لغة العرب (دراسة فكرية سياسية) ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩
١٨- الاب أنستاس الكرملي : المساعد ، ج١ ، تحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي ، بغداد ١٩٧٢ ، ص١١
١٩- فاطمة شمخي الغريباوي : الحركة الفكرية في بغداد ١٨٦٩ – ١٩١٤ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص٥٠

٢٠- أبراهيم الدروبي : البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص٣٦
٢١- مير بصري : أعلام الادب في العراق الحديث ، لندن ، ١٩٩٤، ص٢٦٩
٢٢- حميد المطبعي : موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٢٠
٢٣- الاب أنستاس الكرملي : المساعد ، ج٢ ، تحقيق كوركيس عواد وعبدالحميد العلوجي ، بغداد ، ١٩٧٦، ص٩
٢٤- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص٩٢
٢٥- عامر رشيد السامرائي : المصدر السابق ، ص٥
٢٦- كوركيس عواد : المصدر السابق ، ص١٧
٢٧- خيري أمين العمري : شخصيات عراقية ، بغداد ، ١٩٥٥
٢٨- سالم الالوسي : في ذكرى الراهب العلامة ، ص١١
٢٩- نجدة فتحي صفوة : خواطر وأحاديث في التراث ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٢٣
٣٠- سالم الالوسي : في ذكرى الراهب العلامة ، ص١٣
٣١- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص٩٥
٣٢- المصدر نفسه
٣٣- نجدة فتحي صفوة : المصدر السابق ، ص١٣٩
٣٤- الاب أنستاس الكرملي : نشوء اللغة العربية وأكتمالها ، القاهرة ، ١٩٣٨، ص٤
٣٥- نجدة فتحي صفوة : المصدر السابق ، ص١٤٠
٣٦- الاب أنستاس الكرملي : نشوء اللغة العربية ، المصدر السابق ، ص١
٣٧- المصدر نفسه
٣٨- مير البصري : المصدر السابق ، ص٩٧
٣٩- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص٩٧
٤٠- عبد القادر البراك : المصدر السابق ، ص٥٧
٤١- أبراهيم السامرائي : الاب أنستاس الكرملي وأرائه اللغوية ، بغداد ، ١٩٦٩، ص١٤
٤٢- عبد القادر البراك : المصدر السابق ، ص٥٧
٤٣- بطرس حداد : كنائس بغداد وديارتها ، بغداد ، ١٩٩٤، ص٥٠
٤٤- كوركيس عواد : الاب انستاس الكرملي ، المصدر السابق ، ص٩
٤٥- أبراهيم السامرائي : المصدر السابق ، ص١٢
٤٦- كريم عبد الحسين فرج الغرواي : المصدر السابق ،، ص١٠١
٤٧- كوركيس عواد : الاب انستاس الكرملي ، المصدر السابق ، ص ٢٧
٤٨- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص١٠٢
٤٩- المصدر نفسه

٥٠- كوركيس عواد : الاب أنستاس الكرملي ، ص٢٧
٥١- فاهم نعمة الياسري : المصدر السابق ، ص١٤٥
٥٢- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص١٠٣
٥٣- خالد حبيب الراوي : من تاريخ الصحافة العراقية ، بغداد ، ١٩٧٨، ص٤٣
٥٤- كوركيس عواد : الاب أنستاس الكرملي ، ص١١
٥٥- المصدر نفسه
٥٦- علي حداد : المصدر السابق ، ص ٤٨
٥٧- المصدر نفسه
٥٨- أحمد مطلوب : حركة التعريب في العراق ، بغداد ، ١٩٨٣، ص٧٠
٥٩- المصدر نفسه
٦٠- كوركيس عواد : الاب أنستاس الكرملي ، المصدر السابق ، ص٣٧
٦١- علي حداد : المصدر السابق ، ص ٤٩
٦٢- المصدر نفسه
٦٣- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص١٠٩
٦٤- المصدر نفسه
٦٥- كوركيس عواد : الاب أنستاس الكرملي ، المصدر السابق ، ص٣١
٦٦- أبر اهيم السامرائي : المصدر السابق ، ص٥٤
٦٧- المصدر نفسه
٦٨- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : المصدر السابق ، ص١١١

المصادر والمراجع :

أولا : الرسائل والاطاريح :
١- فاطمة شمخي الغريباوي : الحركة الفكرية في بغداد ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩
٢- فاهم نعمة الياسري : مجلة لغة العرب – دراسة فكرية سياسية ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩

الكتب والمصادر :

١- أبراهيم الدروبي : البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، بغداد ١٩٥٨
٢- أبراهيم السامرائي : الاب أنستاس الكرملي وارائه اللغوية ، بغداد ، ١٩٦٩
٣- أ حمد مطلوب : حركة التعريب في العراق ، بغداد ، ١٩٨٣
٤- الاب انستاس الكرملي : المساعد ، ج١ ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٧٢

٥- الاب أنستاس الكرملي : المساعد ، ج٢ ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٧٦
٦- بطرس حداد : كنائس بغداد وديارتها ، بغداد ، ١٩٩٤
٧- حميد المطبعي : موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، بغداد ، ١٩٨٥
٨- خيري أمين العمري : شخصيات عراقية ، بغداد ، ١٩٥٥
٩- خالد حبيب الراوي : من تاريخ الصحافة العراقية ، بغداد ، ١٩٧٨
١٠- خير الدين الزركلي : الاعلام ، ج١ ، بيروت ، ١٩٨٩
١١- دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٦ ، بغداد ، ١٩٣٦
١٢- سالم الالوسي : في ذكرى الراهب العلامة بمناسبة مرور ٢٣ عاما على وفاة الكرملي ، بغداد ، ١٩٧٠
١٣- سالم الالوسي : المجمع العلمي في خمسون عاما ١٩٤٧ ، ١٩٩٧ ، بغداد ، ١٩٩٧
١٤- علي حداد : فروض الهوى البغدادي ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٥
١٥- عامر رشيد السامرائي : الاب لانستاس الكرملي ، بغداد ، ١٩٨٦
١٦- عبد القادر البراك : من أعلام الشرق ، بغداد ، ١٩٥٠
١٧- كريم عبد الحسين فرج الغراوي : انستاس الكرملي ثقافيا وفكريا في تاريخ العراق ١٨٦٦- ١٩٤٧ ، بغداد ، ٢٠١٣
١٨- كوركيس عواد : الاب أنستاس الكرملي (حياته ومؤلفاته) ، بغداد ، ١٩٦٦
١٩- نجدة فتحي صفوة : خواطر وأحاديث في التراث ، بغداد ، ١٩٨٣
٢٠- مير بصري : أعلام الادب في العراق الحديث ، لندن ، ١٩٩٤

Father Anastas Carmeli is a model

Teacher Dr Leqaa Shaker Al – Sharify
Center of Arab Scientific Heritage
University of Baghdad
Baghdad Documentation Department
Study in the flags of Baghdad

Research Summary

The study of the Baghdad personalities is an important issue because the owners of these personalities usually belong to the elite, which play a distinct role in the development of any society in all political, economic, social and cultural fields. These include the study of the personal personality of Father Anastas Marie Carmeli to highlight many aspects of personality And his clear fingerprints on the movement of society in the field of culture and thought

That Karamli's efforts in the field of language, literature and history made him one of the most prominent pioneers of Renaissance late in the history of modern Iraq